

## دلائل الإعجاز

مؤلف الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها . وهو بما يصنع في سبيل مَنْ يأخذُ الأصابعَ المختلفة فيتوخَّسَى فيها ترتيباً يحدثُ عنه ضربٌ من النقشِ والوشْيِ . وإذا كانَ الأمرُ كذلكَ فإنَّنا إنَّ تعدَّسَينا بالحكايةِ الألفاظَ إلى النظمِ والترتيبِ أدَّسَى ذلكَ إلى المُحالِ وهو أنْ يكونَ المنشدُ شعراً امرئِ القيسِ قد عمِلَ في المعاني وترتيبها واستخراج النتائجِ والفوائدِ مثلَ عملِ امرئِ القيسِ وأن يكونَ حالُه إذا أنشدَ قوله - الطويل - .

( فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّسَى بِصُلَّابِهِ ... وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بَكَلًا كَلَّ ) .

حالَ الصَّائغِ يَنْطُرُ إِلَى صُورَةٍ قَدْ عَمَلَهَا صَائِغٌ مِّنْ ذَهَبٍ لَهُ أَوْ فَضَّةٍ فِجِيءٌ بِمِثْلِهَا فِي ذَهَبِهِ وَفَضْتِهِ . وَذَلِكَ يَخْرُجُ بِمَرْتَكِبٍ إِنْ ارْتَكَبَهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ الرَّأْيُ مُسْتَحَقًّا لِأَنْ يوصَفَ بِأَنَّهُ اسْتَعَارَ وَشَبَّهَ وَأَنْ يُجْعَلَ كَالشَّاعِرِ فِي كُلِّ مَا يَكُونُ بِهِ نَاطِمًا فَيُقَالُ إِنَّهُ جَعَلَ هَذَا فاعلاً وَذَاكَ مفعولاً وَهَذَا مَبْتَدَأٌ وَذَاكَ خَبْرًا . وَجَعَلَ هَذَا حَالًا وَذَاكَ صفةً . وَأَنْ يُقَالَ نَفَى كَذَا وَاثْبَتَ كَذَا وَأَبْدَلَ كَذَا مِنْ كَذَا وَأَضَافَ كَذَا إِلَى كَذَا وَعَلَى هَذَا السَّبِيلِ كَمَا يُقَالُ ذَاكَ فِي الشَّاعِرِ . وَإِذَا قِيلَ ذَاكَ لِزِمِّ مَنْهُ أَنْ يُقَالَ فِيهِ : صَدَقَ وَكَذَبَ كَمَا يُقَالُ فِي المَحْكِيِّ عَنْهُ وَكَفَى بِهَذَا بُعْدًا وَإِحَالَةً . وَيَجْمَعُ هَذَا كَلَامَهُ أَنَّهُ يَلْزَمُ مَنْهُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ قَالَ شِعْرًا كَمَا يُقَالُ فِيمَنْ حَكَى صَنَعَةَ الصَّائِغِ فِي خَاتَمٍ قَدْ عَمَلَهُ : إِنَّهُ قَدْ صَاغَ خَاتَمًا .

وَجُمْلَةُ الحَدِيثِ أَنَّ نَعْلَمُ ضَرْبَ ضَرْبٍ أَنْزَهُ لَا يَتَأْتَسَى لَنَا أَنْ نَنْظِمَ كَلَامًا مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَفَكْرٍ فَإِنَّ كَانَ رَأْيُ الشَّاعِرِ وَمُنْشَدُهُ يُحْكِي نَظْمَ الشَّاعِرِ عَلَى حَقِيقَتِهِ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَتَأْتَسَى لَهُ رِوَايَةُ شِعْرِهِ إِلَّا بِرَوِيَّةٍ وَإِلَّا بِأَنْ يَنْظُرَ فِي جَمِيعِ مَا نَظَرَ فِيهِ الشَّاعِرُ مِنْ أَمْرِ النَظْمِ وَهَذَا مَا لَا يَبْقَى مَعَهُ مَوْضِعٌ عِذْرٍ لِلشَّاعِرِ .

هَذَا وَسَبَبُ دُخُولِ الشُّبْهَةِ عَلَى مَنْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ نَهْمًا رَأَى المَعَانِي لَا تَتَجَلَّسَى لِلسَّامِعِ إِلَّا مِنَ الألفاظِ وَكَانَ لَا يَوْقَفُ عَلَى الأُمُورِ الَّتِي بَدَّوْخِيهَا يَكُونُ النَظْمُ إِلَّا بِأَنْ يَنْظُرَ إِلَى الألفاظِ مَرْتَبَةً عَلَى الأَنْحَاءِ الَّتِي يَوْجِبُهَا تَرْتِيبُ المَعَانِي فِي النَفْسِ . وَجَرَتْ العَادَةُ بِأَنْ تَكُونَ المَعَامِلَةُ مَعَ الألفاظِ فَيُقَالُ : قَدْ نَظِمَ أَلْفَاطًا فَأَحْسَنَ نَظْمَهَا وَأَلَّفَ كَلِمًا فَأَجَادَ تَأْلِيفَهَا